

الفصل الخامس

الأخلاق والفضائل

كما يتميز المجتمع المسلم بعقائده وشعائره ، ومفاهيمه ومشاعره ، يتميز أيضاً بأخلاقه وفضائله .

فالأخلاق والفضائل جزء أصيل من كيان هذا المجتمع ، فهو مجتمع العدل والإحسان ، والبر والرحمة ، والصدق والأمانة ، والصبر والوفاء ، والحياء والعفاف ، والعزة والتواضع ، والسخاء والشجاعة ، والإباء والشرف ، والبذل والتضحية ، والمروءة والنجدة ، والنظافة والتجمل ، والقصد والاعتدال ، والسماحة والحلم ، والنصيحة والتعاون ، والغيرة على الحرمات ، والاستعلاء على الشهوات ، والغضب للحق ، والرغبة في الخير ، والإيثار للغير ، والإحسان إلى الخلق كافة ، وبخاصة بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وإكرام الجار ، ودعوة الناس إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . . وكل خصال الخير ، وخلال المكرمات ، ومكارم الأخلاق .

وأولها : الإخلاص لله ، والتوبة إليه ، والتوكل عليه ، والخشية منه ، والرجاء في رحمته ، والتعظيم لشعائره ، والحرص على مرضاته ، والحذر من مساخطه ، إلى غير ذلك من المعاني الربانية التي يغفلها كثير من الناس حين يتحدثون عن الأخلاق في الإسلام ، فليست الأخلاق ما يتعلق بما بين الإنسان والإنسان فحسب ، وإنما تشمل ما بين الإنسان وخالقه أيضاً .

وهو في الجانب السلبي يحرم كل الرذائل ، والأخلاق الرديئة ، ويشدد في تحريم بعضها ، فيجعلها في مرتبة الكبائر . فيحرم الخمر والميسر ، ويعدهما

رجساً من عمل الشيطان ، ويحرّم الزنى وكل ما يقرب أو يعين عليه ، ومثل ذلك الشذوذ الجنسي الذي هو علامة على انتكاس الفطرة وانهيار الرجولة ، ويحرّم الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، وخاصة إذا كانوا ضعفاء كاليتامى ، ويحرّم عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام ، والإساءة إلى الجار ، وإيذاء الآخرين باليد أو اللسان ، ويجعل من خصال النفاق : الكذب والخيانة ، والغدر وإخلاف الوعد ، والفجور في الخصومة .

وكل رذيلة تنكرها الفِطْر السليمة والعقول الراشدة ، جاء الإسلام فأنكرها وألحّ في إنكارها .

كما أنّ كل الأخلاق الفاضلة التي تعرفها الفِطْر والعقول ويسعد بسيادتها الأفراد والجماعات ، قد أقرها وأمر بها وحثّ عليها .

والذي يتلو كتاب الله تعالى ، أو يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ ، يرى أن هذه الأخلاق والفضائل من المقومات الذاتية للمجتمع المسلم ، وليست من الأعراض الطارئة عليه ، ولا من الأمور الهامشية في حياته ، فهي في القرآن من الصفات الأساسية للمؤمنين والمتقين الذين لا يدخل الجنة غيرهم ، ولا ينجو من النار غيرهم ، ولا يسعد بالحياة الدنيا غيرهم .

وهي في السُّنة من شُعَب الإيمان ، لا يتم الإيمان إلا بالتحلي بها ، والتخلي عن أضدادها . ومن أعرض عنها فقد جانب أوصاف المؤمنين ، وتعرّض لسخط الله ولعنته ، وبرئت منه ذمة الله وذمة رسوله .

ونعرض بعض (اللوحات) القرآنية للأخلاق الإسلامية تصورها النماذج الآتية حسب ترتيب المصحف :

١- ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

(البقرة: ١٧٧) .

مزجت الآية الكريمة بين العقائد : من الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتب والنبیین ، وبين الشعائر من الصلاة والزكاة ، والأخلاق من إيتاء المال على
حبه ذوي القربى واليتامى . . إلخ ، والوفاء بالعهد والصبر في البأساء والضراء
وحين البأس .

وجعلت هذا المزيج المتناسق هو حقيقة البر ، وحقيقة التدين ، وحقيقة التقوى
كما يريد الله .

٢- ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَمِيثَ ﴿٢٢﴾
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

(الرعد: ٢٢-٢٤) .

تميزت هذه اللوحة الأخلاقية بالمزج بين الأخلاق الربانية كخشية الله وخوف
سوء الحساب ، والأخلاق الإنسانية من الوفاء والصبر والصلة والإنفاق ، ودور السيئة
بالحسنة ، إن صح هذا التمييز . فإن المتأمل في الآية يجدها قد وصلت الأخلاق
كلها بالربانية ، فالوفاء وفاء بعهد الله ، والصلة هي لما أمر الله به أن يوصل ،
والصبر إنما هو ابتغاء وجه الله ، والإنفاق هو مما رزق الله ، فهي كلها أخلاق ربانية
موصولة بالله ، ولهذا قرنت بإقامة الصلاة ، لأنها جميعاً ضرب من العبادة ، يتقرب
به المؤمنون إلى الله ، ويتلقون به ما عند الله .

٣- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ

حَافِظُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١١﴾
فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْوَارِثُونَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿المؤمنون: ١-١١﴾ .

في هذه اللوحة نجد الخشوع في الصلاة ، والفعل للزكاة ، والمحافظة على الصلوات - وهي معدودة في إطار الشعائر والعبادات - جنباً إلى جنب مع الإعراض عن اللغو ، وحفظ الفروج عن الحرام ، ورعاية الأمانات والعهود .

٤- ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٨﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
قَوَامًا ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٢٢﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَيُخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ
يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَإِنَّهُ يُتَوَّبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا
كِرَامًا ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ تَخْرُوا عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٢٧﴾
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٢٨﴾ أُولَٰئِكَ تُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً
وَسَلَامًا ﴿٢٩﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿الفرقان: ٦٣-٧٦﴾ .

٥- ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
رَبِّهِمْ وَعَلَىٰ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ تَحْتَبِسُونَ كَثِيرًا مِنَ الْأَرْثِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا
هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ

وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾

(الشورى : ٣٦-٤٠) .

والجديد في هذه اللوحة أو الباقة أمران في غاية الأهمية ، بالنظر إلى المجتمع المسلم :

الأول : تقرير مبدأ الشورى باعتباره عنصراً من العناصر الأساسية المكونة لشخصية المجتمع المسلم ، ولهذا وضعت الشورى بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المعبر عنه هنا بكلمة الإنفاق مما رزق الله ، ولا يخفى على أحد مكانة الصلاة والزكاة في دين الإسلام ، فما يوضع بينهما لا يكون من الأمور الثانوية أو الهينة في دين الله .

والأمر الثاني : هو الانتصار إذا أصابهم البغي ، فليس من شأن المسلم الخضوع للبغي أو الانحناء للظلم والعدوان . بل مقابلته بمثله ليزجر ويرتدع ، إلا مَنْ عفا عن قدرة فأجره على الله .

من هذه اللوحات أو الباقات التي قدمناها يتبين لنا منزلة الأخلاق في الإسلام ، ومكانها في تكوين المجتمع المسلم . وليست هذه كل ما في القرآن الكريم عن الأخلاق والفضائل ، فالقرآن - مكيه ومدنيه - مليء بالآيات واللوحات التي تقدم لنا نماذج خلقية كريمة ، تجمع بين المثالية والواقعية وتمزج الروحانيات بالماديات أو الدين بالدنيا ، في اتساق والتئام ، لم تعرفهما من قبل - ولا من بعد - شريعة ولا نظام .

ويستطيع القارئ المسلم أن يرجع إلى سورة الأنعام فيقرأ فيها الوصايا العشر من أواخرها : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسِنًا ﴾ الآيات (الأنعام : ١٥١) .

أو يرجع إلى سورة الإسراء فيقرأ الوصايا السبع عشرة : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسِنًا ﴾ الآيات (الإسراء : ٢٣) .

أو يرجع إلى سورة لقمان ويقرأ وصيته لابنه .

أو يرجع إلى سورة الدهر ويتلو فيها أوصاف الأبرار : ﴿ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ ﴿٧٨﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿ الآيات (الإنسان : ٧-٨) .

أو يرجع إلى سورة البقرة ويقرأ في أواخرها آيات الله في تحريم الربا ، ونذره لأكلة الربا ، وكيف آذنتهم بحرب من الله ورسوله إن لم يتوبوا ويكتفوا برؤوس أموالهم .

أو يرجع إلى سورة النساء ، وكيف أوصت بالمرأة خيراً : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا نِسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴿ الآية (النساء : ١٩) .

أو يقرأ في نفس السورة آية الحقوق العشرة : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴿ الآية (النساء : ٣٦) .

أو يقرأ في سورة المائدة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة : ٩٠) ، وكلمة (الاجتناب) لا يستعملها القرآن إلا مع الشرك وكبائر الإثم^(١) .

ويطول بنا الحديث لو أردنا أن نتبع موارد الأخلاق في آيات القرآن العظيم ، فإن جل أوامر القرآن ونواهيه تتعلق بهذا الجانب الخطير من حياة الناس : جانب الأخلاق .

(١) كما في قوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ (الحج : ٣٠) ، ﴿ أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ ۖ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ﴾ (النحل : ٣٦) ، ﴿ وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَيرًا إِلَّا نِمْ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ (الشورى : ٣٧) ، فهي أبلغ وأشد من كلمة التحريم ، وإنما اختارها القرآن هنا ، لأن اجتناب الشيء يعني البعد عنه لا مجرد تركه . فكلمة (اجتنبوا) في الخمر مثل كلمة (لا تقربوا) في الزنى .

وربما يخالفنا بعض الناس في تسمية هذه الأمور (أخلاقاً) وإنما يسميها أوامر ونواهي ، وهذا خلاف في الاصطلاح والتسمية لا في الموضوع نفسه إثباتاً ونفيًا . وقد قال علماؤنا قديماً : لا مشاحة في الاصطلاح ، ولا يضر الخلاف في الأسماء متى وضحت المسميات .

وإنما اخترنا تسمية هذه الأمور التي جاء بها القرآن والسنة (أخلاقاً) لأن تعريف الأخلاق ينطبق عليها تمام الانطباق .

● مهمة المجتمع المسلم مع الأخلاق :

إن مهمة المجتمع بالنظر إلى الأخلاق والفضائل ، كمهمته بالنظر إلى العقيدة والمفاهيم والشعائر والعواطف .

إنها مهمة ذات ثلاث شُعب :

١- التوجيه . ٢- التثيit . ٣- الحماية .

فالتوجيه يكون بالنشر والدعاية ، ومختلف وسائل الإعلام والتثقيف ، والدعوة والإرشاد .

والتثيit يكون بالتعليم الطويل المدى ، والتربية العميقة الجذور ، على مستوى الأسرة والمدرسة والجامعة .

والحماية تتكون بأمرين :

١- برقابة الرأي العام اليقظ ، الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويكره الفساد وينفر من الانحراف .

٢- وبالتشريع الذي يمنع الفساد قبل وقوعه ، ويعاقب عليه بعد وقوعه ، زجراً للمنحرف ، وتأديباً للمستهتر ، وتطهيراً لجو الجماعة من التلوث .

وبهذه الأمور من التوجيه والتثيit والحماية تسود أخلاق الإسلام ، وتسري فضائله في حياة المجتمع سريان العصارة الحية في الغصون والأوراق .

فليس إذن بمجتمع مسلم ذلك الذي تختفي فيه أخلاق المؤمنين ، لتبرز أخلاق
الفجار .

وليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تموت فيه أخلاق القوة ، فتحيا وتنمو أخلاق
الضعف .

وليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يشيع فيه خلقُ القسوة على الضعفاء ،
والخضوع للأقوياء .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تضرر فيه تقوى الله ، ومراقبته تعالى ، والخوف
من حسابه ، فنرى الناس يتصرفون وكأنما هم آلهة أنفسهم ، وينطلقون وكأنما ليس
هناك حساب ينتظرهم ، وإنما هم في غفلة معرضون ، وفي غمرة ساهون .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يسوده التواكل والعجز والسلبية ، في مواجهة
الأمر وإلقاء الأوزار على كاهل الأقدار .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يُهان فيه الصالحون ، ويُكرم الفاسقون ، ويُقدّم
أهل الفجور ، ويُؤخّر أهل التقوى .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يُظلم فيه المحق ، ويُحابى فيه المبطل ، ويقال
فيه للمضروب : لا تصرخ ، ولا يقال للضارب : كفّ يدك .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تفسد فيه الذمم ، وتُشتري فيه الضمائر ، ويقضى
فيه كل أمر بالرشوة .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي لا يوقّر فيه الكبير ولا يُرحم فيه الصغير ،
ولا يعرف لذي فضل فضله .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تتميع فيه الأخلاق ، فيتشبه الرجال بالنساء
والنساء بالرجال .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تشيع فيه الفاحشة ، ويفقد فيه الرجال الغيرة ،
 ويفقد النساء الحياء .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي لا يكاد الناس يتكلمون فيه أو يعملون أو يتصرفون إلا رياءً ونفاقاً ، وطلباً للشهرة والجاه ، ولا تكاد ترى فيه جندياً مجهولاً ، من المخلصين البررة ، والأتقياء الأخفياء ، الذين إذا حضروا لم يُعرفوا ، وإذا غابوا لم يُفتقدوا .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تسوده أخلاق المنافقين من كل من حدث فكذب ، ووعد فأخلف ، واؤتمن فخان ، وعاهد فغدر ، وخاصم ففجر .

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يهمل فيه الآباء الأبناء ، ويعق فيه الأبناء الآباء ، ويتجافى فيه الإخوان ، وتتقطع فيه الأرحام ، ويتناكر فيه الجيران ، وتنفق فيه سوق الغيبة والنميمة وفساد ذات البين ، وينهزم فيه البذل والإيثار ، أمام الشح والأنانية وحب الذات .

فالمجتمع المسلم - ولا شك - (مجتمع أخلاقي) بكل ما تحمله كلمة (الأخلاق) من شمول وسعة ، ليس مجتمعاً تسيره المنافع المادية ، أو الأغراض السياسية ، أو الاعتبارات العسكرية وحدها .

كلا . . بل هو مجتمع تحكمه فضائل ومثل عليا ، يلتزم بها ، ويتقيد بحدودها مهما يكلفه ذلك من مشقات وتضحيات ، ولا عجب في ذلك فقد قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »^(١) .

فلا انفصال في هذا المجتمع بين العلم والأخلاق ، ولا بين الفن والأخلاق ، ولا بين الاقتصاد والأخلاق ، ولا بين السياسة والأخلاق ، ولا بين الحرب والأخلاق ، وإنما الأخلاق عنصر يهيمن على كل شؤون الحياة وتصرفاتها ، صغيرها وكبيرها ، فرديها وجماعيها .

* * *

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢) وقال مخرجه : صحيح ، والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣) ، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢) وقال : على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥) ، عن أبي هريرة .